## ٢- فصل

# أولهم عبد الله السفاح[١]

**[٤٣] ذكر ابن الجوزى فى كتاب الأذكياء[٢] عن خالد بن صفوان[٣]** : أنه دخل يوما على أبى العباس السفاح وليس عنده أحد ، فقال: ياأمير المؤمنين إنى والله مازلت منذ قلدك الله خلافته أطلب أن أصير معك بمثل هذا الموقف فى الخلوة فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإمساك الباب فعل حتى نفرغ ، فأمر الحاجب بذلك ، فقال: ياأمير المؤمنين إنى فكرت فى أمرك واستجلبت الفكر فيك فلم أر أحدا له قدرة واتساع فى الاستمتاع بالنساء ولاأضيق فيهن عيشا منك إنك ملّكت نفسك امرأة من

---

(١) عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو العباس السفاح: أول خلفاء الدولة العباسية ، وأحد الجبارين الدهاة من ملوك العرب . قام بدعوته أبو مسلم الخراسانى ، فقوض عرش الدولة الأموية ، فبويع له بالخلافة جهرا فى الكوفة سنة [١٣٢هـ] وكان شديد العقوبة ، عظيم الانتقام ، تتبع بقايا الأمويين بالقتل والصلب والإحراق حتى لم يبق منهم غير الأطفال ، ولذلك لقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دمائهم . وهو الذى بنى "الهاشمية" وجعلها مقرا لحكمة ، وهو أول من أحدث الوزارة فى الإسلام ، وكان سخيا جوادا ، يوصف بالفصاحة والعلم والأدب ، ت[١٣٦هـ = ٧٥٤م] . انظر : الكامل لابن الأثير (١٥٢/٥) ، المسعودى (١٦٥/٢) الطبرى (١٥٤/٩) .

(٢) انظر : كتاب الأذكياء لابن الجوزى ص ١٤٢ ، وفيات الأعيان (٢٤٣/١) .

(٣) خالد بن صفوان بن عبد الله : من فصحاء العرب المشهورين . ولد ونشأ بالبصرة وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشيء وذمه ، ت[١٣٢هـ = ٧٥٠م] .انظر : وفيات الأعيان (٢٤٣/١) .

نساء العالمين فاقتصرت عليها فإن مرضت مرضت وإن غابت غبت وإن عزلت عزلت، وحرمت ياأمير المؤمنين على نفسك التلذذ بما يُشتهى منهن فإن منهن الطويلة التى تشتهى لحسنها ، والبيضاء التى تحب لرؤيتها ، والسمراء العساء[1] والصفراء الذهبية، ومولدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الألسنة العذبة والجواب الحاضر، وبنات سائر الملوك ، ومايشتهى من نضارتهن ونظافتهن ، وتحلل خالد لسانه فأطنب فى صفات ضروب الجوارى وشوّقه إليهن ؛ فلما فرغ من كلامه قال له السفاح: ويحك ملأت مسامعى ماأشغل خاطرى والله ماسلك مسامعى كلام أحسن من هذا، فأعد علىَّ كلامك فقد وقع منى موقعا فأعاد عليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأ به، ثم قال له : انصرف فانصرف وبقى أبو العباس مفكرا فدخلت عليه أم سلمة[2] زوجته وكان قد حلف لها أنه لايتزوج عليها ولايتخذ عليها سرية ووفى لها فلما رأته على تلك الحالة قالت له : إنى لأنكرك ياأمير المؤمنين فهل حدث شىء تكرهه أو أتاك خبرا ارتعت له ؟ قال : لا فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد ، فقالت له : وماقلت لابن الفاعلة ، فقال لها : أينصحنى وتشتمينه ، فخرجت إلى مواليها وأمرتهم بضرب خالد .

قال خالد : فخرجت من الدار مسرورا بما ألقيت إلى أمير المؤمنين ولم أشك فى الصلة فبينما أنا واقف ، إذ أقبل موالى أم سلمة يسألون عنى فحققت الجائزة ، فقلت لهم: هاأنا واقف فاستبقى إلى أحدهم بخشبة

---

(١) العساء : شديدة السواد .

(٢) هند بنت يعقوب بن عبد الله المخزومى ، أم سلمة : سيدة جليلة ذات عقل وحزم ، غلبت على أمر زوجها أبى العباس السفاح غلبة شديدة فكان لايقطع أمر إلا بمشورتها. انظر : أعلام النساء (٢/٢٣٥) .

فغمزت برذوني[1] فلحقني وضرب كفل البرذون وركضت ففررت منهم واستخفيت في منزلي أياما ووقع في قلبي أني أمنت من أم سلمة ، فبينما أنا ذات يوم جالس في المنزل فلم أشعر إلابقوم هجموا علي ، فقالوا: أجب أمير المؤمنين فسبق إلى قلبي أنه الموت فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون لم أر دم شيخ أضيع من دمي فركبت إلى دار أمير المؤمنين فأصبته جالسا ولحظت في المجلس بيتا عليه ستور رقاق وسمعت حسا خفيفا خلف الستر ، فأجلسني ثم قال : ياخالد أنت وصفت لأمير المؤمنين صفة فأعدها فقلت : نعم ياأمير المؤمنين أعلمتك أن العرب مااشتقت اسم الضرتين إلا من الضر ، وإن أحدا لم يكثر من النساء أكثر من واحدة إلا كان ضر وتنغيص، فقال السفاح : لم يكن هذا من كلامك أولا ، قلت: بلى : ياأمير المؤمنين ، وأخبرتك أن الثلاث من النساء يدخلن على الرجل البؤس ، فقال: برئت من رسول الله ﷺ إن كنت سمعت هذا منك أولا أو مرة في حديثك، قلت: بلى ياأمير المؤمنين : وأخبرتك أن الأربع من النساء شر مجتمع لصاحبهن يشينه ويهرمنه ، قال : والله ماسمعت منك هذا أولا ، قلت : بلى ياأمير المؤمنين وأخبرتك، أن أبكار الإماء رجال إلا أنه ليست لهن خصاء ، قال أمير المؤمنين : أفتكذبني ؟ قلت: أفتقتلني ؟ قال خالد : فسمعت ضحكا خلف الستر ، ثم قلت : وأخبرتك أن عندك ريحانة قريش وأنت تطمح بعينيك إلى النساء والجواري ، فقيل لي من وراء الستر: صدقت ياعماه هذا حديثك ولكنه غير حديثك ونطق بما في خاطره عن لسانك ، فقال السفاح: مابك قاتلك الله ؛ قال خالد : فانسللت وخرجت، فبعثت إلى أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذونا وتخت ثياب ، انتهى .

---

(١) بِرْذَون : الدابة التي تحمل المتاع .

[٤٤] وروى : أن أبا دلامة[١] الشاعر كان واقفا بين يدى السفاح فى بعض الأيام ، فقال : سلنى حاجتك فقال له أبو دلامة : أريد كلب صيد، فقال : أعطوه إياه فقال : ودابة أتصيد عليها ، فقال : أعطوه دابة فقال : وغلاما يقود الكلب والصيد، فقال : أعطوه غلاما ، فقال : وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه ، فقال: أعطوه جارية فقال : هؤلاء ياأمير المؤمنين عيال ولابد لهم من دار يسكنونها ، فقال: أعطوه دارا تجمعهم ، ثم قال : وإن تكن لهم الدار فمن أين يعيشون قال : قد أقطعتك عشر ضياع عامرة وعشر غامرة من فيافى[٢] بنى إسرائيل ، قال : ومامعنى الغامرة ياأمير المؤمنين؟ قال: مالا نبات فيها ، قال : قد أقطعتك ياأمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافى بنى سعد ، فضحك منه وقال : أعطوها كلها عامرة. قال الحافظ[٣] : فانظر إلى حذقه بالمسألة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتى بمسألة مسألة على ترتيب وفكاهة حتى نال ماسأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل إليها بارك الله فيه ، انتهى[٤].

[٤٥] وروى عن الحسن بن الحصين قال : لما أفضت الخلافة إلى بنى العباس، كان من جملة من اختفى : إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك فلم يزل مختفيا إلى أن أضناه وأضجره الاختفاء ، فأخذ له أمان من

---

(١) زند بن المحون ، أبو دلامة :شاعر من أهل الظرف والدعابة ، أسود اللون ، جسيم ، نشأ فى الكوفة ، واتصل بالخلفاء من بنى العباس وله فيهم مدائح ، واتهم بالزندقة لتهتكه وأخباره كثيرة متفرقة ، ت[١٦١هـ] .

(٢) فيافى ، مفردها فيفى : المفازة لا ماء فيها .

(٣) الحافظ : أبو الفرج ابن الجوزى ، انظر : الأذكياء ص ١٢٨ .

(٤) انظر : ثمرات الأوراق ص٧٤ .

السفاح، وكان إبراهيم رجلا أديبا بليغا حسن المحاضرة فحظى عند السفاح ، فقال له : لقد مكثت زمانا طويلا مختفيا فحدثنى بأعجب مارأيت فى اختفائك ، فإنها كانت أيام تكدير[1] .

فقال : ياأمير المؤمنين وهل سُمع بأعجب من حديثى. لقد كنت مختفيا فى منزل أنظر منه إلى البطحاء فبينما أنا على مثل ذلك ، وإذا بأعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فوقع فى ذهنى أنها خرجت تطلبنى، فخرجت متفكرا حتى أتيت الكوفة من غير الطريق وأنا والله متحير ولاأعرف بها أحدا ، وإذا أنا بباب كبير فى رحبة منيعة فدخلت فى تلك الرحبة فوقفت قريبا من الدار ، وإذا برجل حسن الهيئة وهو راكب فرسا ومعه جماعة من أصحابه وغلمانه فدخل الرحبة فرآنى واقفا مرتابا ، فقال لى: ألك حاجة ؟ قلت: غريب خائف من القتل ، قال : ادخل فدخلت إلى حجرة فى داره ، فقال : هذه لك ، وهيأ لى ماأحتاج إليه من فرش وآنية ولباس وطعام وشراب وأقمت عنده ووالله ماسألنى قط من أنا ولاممن أخاف، وهو فى أثناء ذلك يركب فى كل يوم ويعود متعوبا متأسفا كأنه يطلب شيئا فاته ولم يجده ، فقلت له يوما : أراك تركب فى كل يوم وتعود متعوبا متأسفا كأنك تطلب شيئا فاتك فقال لى : إن إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك ، قتل أبى وقد بلغنى أنه مختف من السفاح وأنا أطلبه لعلى أجده وآخذ بثأرى منه ، فتعجبت والله ياأمير المؤمنين من هربى وشؤم بختى الذى ساقنى إلى منزل رجل يريد قتلى ، ويطلب ثأره منى فكرهت الحياة واستعجلت الموت لما نالنى من الشدة فسألت الرجل عن اسم أبيه وعن سبب قتله فعرفنى الخبر فوجدته صحيحا، فقلت : ياهذا قد وجب

---

(١) تَكَدُّرَ : غم .

على حقك وان من حقك أن أدلك على قاتل أبيك وأقرب إليك الخطوة وأسهل عليك مابعد ، فقال : أتعلم أين هو قلت : نعم ، فقال : أين هو؟ ، فقلت : والله هو أنا فخذ بثأرك منى ، فقال لى : أظن أن الاختفاء أضناك فكرهت الحياة ، قلت : نعم والله أنا قتلته يوم كذا وكذا فلما علم صدقى تغير لونه واحمرت عيناه وأطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه إلى وقال لى : أما أبى فسيلقاك غدا يوم القيامة فيحاكمك عند من لاتخفى عليه خافية ، وأما أنا فلست مخفرا[1] ذمتى ولامضيعا نزيلى، اخرج عنى فإنى لاآمن من نفسى عليك بعد هذا اليوم ؛ ثم وثب ياأمير المؤمنين إلى صندوق فأخرج منه صرة فيها خمسمائة دينار ، وقال : خذ هذه واستعن بها على اختفائك فكرهت أخذها وخرجت من عنده وهو أكرم رجل رأيت . فبقى السفاح يهتز طربا ويتعجب .

[٤٦] **وعن الهيثم بن عدى[2] ، قال** : كان أبو العباس السفاح تعجبه المسامرة ومنازعة الرجال ، فحضرت ذات ليلة فى مسامرة إبراهيم بن مخرمة الكندى وناس من بنى الحارث بن كعب وهم أخواله وخالد بن

---

(١) خفر : نقض العهد - الغدر .

(٢) الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن الثعلى الطائى البحرى ، أبو عبد الرحمن : علام بالأدب والنسب ، مؤرخ ، اختص بمجالسة المنصور والمهدى والهادى والرشيد ، وروى عنهم وكان يتعرض لمعرفة أصول الناس ، ونقل أخبارهم فأورد فى بعض كتبه، معايبهم ، وأظهرها فكُره لذلك ، وطعن فى نسبه وقيل :

إذا نسبت عديا فى بنى ثعل فقدم الدال قبل العين فى النسب

قال بن قتيبة : كان يرى رأى الخوارج ، ت[٢٠٧هـ - ٨٢٢م] . انظر :المعارف ص٢٣٤ ، مرآة الجنان (٣٢/٢) .

صفوان بن إبراهيم التميمى فخاضوا فى الحديث وتذاكروا مضر واليمن ، فقال إبراهيم: ياأمير المؤمنين إن اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا وكانت لهم القرى ولم يزالوا ملوكا أرباباً وورثوا ذلك كابرا عن كابرا أولا عن آخر منهم : النعمانيات ، والمنذريات ، والقابوسيات ، والتبابعة ومنهم: من مدحته الزبر، ومنهم : غسيل الملائكة ، ومنهم : من اهتز لموته العرش، ومنهم : من كلمه الذئب ، ومنهم الذى كان يأخذ كل سفينة غصبا ، وليس شيء له خطر إلا وإليهم ينسب من فرس رائع ، أو سيف قاطع ، أو درع حصينة ، أو حلة مصونة أو درة مكنونة ، إن سئلوا أعطوا ، وأن سيموا أبوا ، إن نزل بهم ضيف قروه، لايبلغهم مكابر ولاينالهم مفاخر هم العرب العرباء ، وغيرهم المتعربة .

قال : أبو العباس السفاح ماأظن التميمى يرضى بقولك ، ثم قال له : ماتقول ياخالد ؟ قال : إن أذنت لى فى الكلام تكلمت قال : أذنت لك فى الكلام فتكلم ولاتهب أحدا ، فقال: أخطأ ياأمير المؤمنين المقتحم بغير علم، والناطق بغير صواب فكيف يكون ماقال ، وإن القوم ليست لهم ألسن فصيحة ، ولاحجة رجيحة نزل بها كتاب ولاحاءت بها سنة ، وهم منا على منزلتين : إن حادوا عن قصدنا أكلوا وإن جاوزوا حكمنا قتلوا ، يفخرون علينا بالنعمانيات والمنذريات وغير ذلك مما سنأتى عليه ، ونفخر عليهم بخير الأنام وأكرم الكرام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ولله المنة به علينا وعليهم، لقد كانوا أتباعه فبه عزوا وله أكرموا فمنا النبى ﷺ ، ومنا الخليفة المرتضى ، ولنا البيت المعمور ، والمسعى ، وزمزم ، والمقام ، والمنبر ، والركن ، والحطيم ، والمشاعر ، والحجابة ، والبطحاء، مع مالايخفى من المآثر ولايدرك من المفاخر ، فليس بعدل بنا

عادل ، ولايبلغ فضلنا قول قائل، ومنا الصديق ، والفاروق، والوصى ، وأسد الله ، وسيد الشهداء ، وذو الجناحين ، وسيف الله ، عرفوا أعالم الله وأتاهم اليقين ، فمن زاحمنا زاحمناه، ومن عادانا اصطلمناه[1] ، ثم التفت إلى إبراهيم فقال : أعالم أنت بلغة قومك ؟ قال : نعم ، قال : فما اسم العين ؟ قال: الحمجمة ، قال : فما اسم السن ؟ قال : الميدن ، قال : فما اسم الأذن؟ قال : الصنارة ، قال : فما اسم الأصابع ؟ قال : الشناتر ، قال: فما اسم اللحية ؟ قال: الذئب ، قال : فما اسم الذئب ؟ قال : الكنع ، قال: أفمؤمن أنت بكتاب الله ؟ قال: نعم فإن الله تعالىيقول ﴿**إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**﴾ [يوسف: ٢] وقال تعالى ﴿**بلسان عربى مبين**﴾ [الشعراء: ١٩٥] وقال ﴿**ماأرسلنا من رسول إلا بلسان قومه**﴾ [إبراهيم: ٤] فنحن العرب والقرآن بلساننا نزل ؛ ألم تر أن الله تعالى قال ﴿**العين بالعين**﴾ [المائدة: ٤٥] ولم يقل الحمجمة بالحمجمة ، وقال ﴿**السن بالسن**﴾ [المائدة: ٤٥]ولم يقل الميدن بالميدن ، وقال ﴿**الأذن بالأذن**﴾ [المائدة: ٤٥] ولم يقل الصنارة بالصنارة ، وقال ﴿**يجعلون أصابعهم فى آذانهم**﴾ [البقرة: ١٩] ولم يقل شناترهم فى صناراتهم ، وقال ﴿**لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى**﴾ [طه: ٩٤] ولم يقل بذئبى وقال تعالى ﴿**فأكله الذئب**﴾ [يوسف: ١٧] ولم يقل فأكله الكنع ، ثم قال : أسألك عن أربع إن اقررت بهن قهرت ، وإن جحدتهن كفرت ، قال : وماهن ؟ قال: الرسول منا أو منكم ؟ قال : منكم ، قال : فالقرآن نزل علينا أو عليكم ؟ قال : عليكم ، قال : فالبيت الحرام لنا أو لكم ؟ قال: لكم قال : فالخلافة فينا أو فيكم ؟ قال خالد : فما كان بعد هذه الأربع فهو لكم.

---

(١) اصْطَلَمَ : استأصله .